Coptology

ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

السلفيون المسيحيون،
وحراك التطوير في الكنيسة القبطية

دكتور

هاني مينا ميخائيل

٢٠١٦

www.coptology.org

أيها السلفيون المسيحيون

ارحموا الكنيسة، والبابا تاوضروس، وأبنائكم

المطلق والنسبي:

تطلعنا وسائل الإعلام دوما على تشدد المتسلفين المسيحيين ممن تبدو لهم غيرة على الكنيسة، ولكن مع عدم معرفة لما هو نسبى متغير يمكن مناقشته، وما هو مطلق لا يحتاج ولا يقبل التغيير. هل هم مندفعون أم مدفوعين؟ الله يعلم. هم يهاجمون كل إصلاح وتجديد وتقدم نحو الوحدة الكنسية وتطوير الفكر، مما يجتهد قداسة البابا تاوضروس لتحقيقه، حتى في طريقة وطقس تحضير الميرون المقدس، أو احتفال كنائسنا في المهجر بعيد الميلاد في ٢٥ ديسمبر، و كلاهما (أي طريقة التحضير و تحديد يوم الاحتفال) طقوس وليسا عقائد!!!

انعدام الاتفاق على تعربفات ومعاني الكلمات في الحوار هو السبب الجوهري جدا لخلافات اللاهوتيين والكنائس في التفسيرات والانشقاقات على مر الزمن، بالرغم من اتفاقهم على الجوهر، أي العقيدة كما صاغتها الكنيسة في قانون الإيمان. وهذا هو السبب في عدم قدرة السلفية المسيحية على تفهم ما يمكن تغييره فيما هو اجتهاد بشرى، وليس جوهر عقيدي مطلق غير قابل للتغيير. ولهذا يتشدد هؤلاء السلفيون المسيحيون، سواء مع قداسة البابا أو مع آخرين ممن يريدون تجديد الفكر والتفسير والتنظيم في بعض الأمور النسبية غير المطلقة (أمثلة: ما هو تعريف "علة الزنا"، هل

يضيق أم يتسع، لكى نتفق على أسباب الطلاق أو التطليق؟ كيف يُحضّر الميرون المقدس؟ هل نحتاج أن ندعو لوحدة الطوائف وقبول معمودية الكنائس غير الأرثوذكسية؟ هل يجب تطوير الإدارة الكنسية؟ هل الصلاة مع كنيسة غير أرثوذكسية أو لأنها ترسم المرأة قسيسة يعتبر هرطقة؟!!!). وسبب ذلك التشدد والتسلف أنهم يؤمنون أن كل فكر أو رأى أو طقس أو قاعدة اجتماعية (خاصة فيما يتعلق بالجنس والحب والزواج والطلاق)، وله عادات وتاريخ قديم هو "عقيدة مطلقة" تسلمناها من الآباء بدم شهداء ... ولا يمكننا الاقتراب منها. وإنني أرى أن بادئ ذي بدء يجب علينا ككنيسة (قيادةً وشعباً وخداماً) أن نؤكد في تعليمنا وأن نتفق على ما هو مطلق (غير متغير) وما هو نسبى (قابل للتغيير) في كل ما ندركه من تعاليم تسلمناها عبر القرون من الأجيال السابقة في الكنيسة. تعودنا تقويا أن نقدس كل ما نتعلمه في الكنيسة، وهذا جيد. ولكن ليس كل ما نعتبره مقدس لارتباطه بالكنيسة هو مطلق. المطلق هو ما نقبله ولا نحتاج أن نراجعه أو نغيره مثل العقيدة (الدوجما) الملخصة في قانون الإيمان، إلى جانب أقوال الرب يسوع المسيح. والحقيقة أن المطلق بصورة كاملة هو الله ذاته وحده وإعلانه في المسيح يسوع ربنا. والمتغير هو: التفسيرات و الطقوس والقوانين الكنسية والآراء الشخصية، على أن يكون التغيير باتفاق الكنيسة كلها معا، كما سأشرح.

فقط لو انتبهنا وأصلحنا مفاهيم المطلق والنسبي في فكر شعبنا وأبنائنا سوف يقف نزيف هذا الهجوم الغير مبرر على كل إصلاح وتجديد، ونحمى أبنائنا من أحد أهم أسباب الإلحاد.

أولا: هذه تعريفات هامة للتوضيح:

١+ العقيدة:

هي إيماننا الثابت غير المتغير، بإعلان الله لنا عن طبيعة وعلاقة الله والإنسان

والكون، هي الدوجما كما لخصتها الكنيسة في قانون الإيمان. وقانون الإيمان يلخص لنا "التقليد الكنسي" المسكوني، أي الجامع لكل الكنائس. و التقليد الكنسي هو التسليم الرسولي عن حياة و تعاليم الرب المعاشة الحية، أي اختبار الكنيسة الجامعة الحى، لإعلان الله عن ذاته وعلاقته بالخليقة، كما علمنا وأرانا الرب يسوع المسيح ابن الله المتجسد بشخصه. والتقليد الكنسي العقيدي المسكوني (وهو غير المتغير) لا يشمل الترتيب الطقسي (حتى لو أسميناه تقليدا طقسيا) لأن الأخير متغير بالمكان والزمان والمناخ الحضاري الثقافي للكنيسة المكانية. ومن هذا التقليد العقيدي والاختبار الكنسي المعاش كتبت الكنيسة، بإلهام الروح القدس ووحيه: الكتاب المقدس، الذى هو وليد وليس أبو التقليد الكنسي.

٢+ تفسير العقيدة (علم اللاهوت):

هو اجتهاد بشرى لتفسير العقيدة. هو اجتهاد ملهم لشرح العقيدة والكتاب المقدس، ويختلف في عباراته ومجازاته بحسب اختلاف لغة العصر والثقافة والحضارة المكانية حيث يجتهد المفسر. التفسير، بخلاف العقيدة، يقبل الاختلاف، بشرط عدم تعارض التفسير مع ثوابت العقيدة، المذكورة في قانون الإيمان.

٣+ الرأي:

وهذا اجتهاد بشرى صرف لمعطى الرأي لإجابة ما ليس له إجابة واضحة أو تفصيلية في الكتاب المقدس والعقيدة، والاختلاف في الرأي وارد جدا هنا، ومقبول بدرجة أوسع بكثير من التفسير، إلا لو كان صاحب الرأي يعتقد أنه هو العالم العليم بكل بواطن الأمور، والذى لا شريك له، وأنه وحده يمثل الكنيسة، أو بالأحرى هو الكنيسة ذاتها و رأيه هو هو "تعليم الكنيسة" ذاته، وهو رأى مطلق الصحة، وأن في رأيه هذا "قبضة الحق" البيّن! ومن أمثلة الرأي: كيف نصوم؟ نوع الطعام وأيام الصوم وساعاته؟ كيف نرتب طقس الصلاة الجماعية وعناصره؟ ما هو نوع الفرح الأبدي

وعذابات جهنم؟ متى يصبح الجنين إنسانا؟ هل نرفض إجهاض الأجنة أيا كان السبب الطبي أو النفسي الذى يدفع الطبيب للنصح بالإجهاض؟ هل وسائل منع الحمل خطية؟ هل حقا مرض الإيدز عقوبة من الله؟ هل أطفال الأنابيب أمر لا يقبله المسيحي؟ هل من حق المسيحي أن يكون ناشطا سياسيا؟ ماذا عن زراعة الأعضاء؟ ماذا عن متابعة الفنون و الرياضات و السينما و الموسيقى و غيرها؟...

أو: لأى درجة يمكننا التوسع في تعريف أمر مثل "علة الزنا"؟ هل نأخذ بالمعنى الحرفي المادي للفعل الجسدي الكامل فقط، وفي وجود شهود أيضا؟ أم بدون شهود؟ أم هل نقبل الزنا الروحي بتغيير الديانة، و الزنا الحكمي، في وجود أدلة مسجلة أو مكتوبة ترجح حدوث الزنا؟ هل هذا دليل كاف لتعريف الزنا، أم نقبل الزنا بالفكر والسايبر سكس (بالإنترنت) كأسباب للطلاق!!!؟ ولماذا يثور المتشددون المتسلفون ضد أن نقبل أن الأوضاع الاجتماعية والزوجية والتي نعلم أنها غالبا ما تقود إلى الزنا، إذا ترك الحال على ما هو عليه بدون طلاق، هي أيضا "علة للزنا"، حتى قبل حدوث الزنا (مثل السجن لعدة أعوام، أو الأذى الجسدي أو النفسي المتكرر، أو المرض العقلي الغير قابل للشفاء، أو المرض المعدي الخطر والمميت، أو الفرقة لعدة أعوام، أو استحالة العشرة لأسباب غير قابلة للتغيير ... كما هو الحال في لائحة ١٩٣٨)؟ هل نضيف هذه الأوضاع الاجتماعية والزوجية إلى تعريف ومعنى "علة الزنا"؟ على أساس أن تجنب حدوث الزنا في هذه الحالات، بالطلاق و السماح بزواج ثان لكل من الزوجين، قطعا هو قرار يبدو رحمة بالزوجين والأبناء وسمعة الكل...

هنا يكون الرأي قابلا للتضييق أو التوسيع بحسب درجة ضيق الأفق، أو سعة صدر وقلب وحكمة ومعرفة المفسر العلمية والطبية والنفسية. هذه أمور يحكم فيها العلماء المتخصصون المتزوجون فقط، وليس غير المتزوجين، لانعدام الخبرة الزوجية. ويبدو أن هذا المفهوم هو عقدة قانون الأحوال الشخصية التي يتحاور حولها المستنيرون والمتشددون في الكنيسة القبطية. كما أننا نعلم جيدا أن العلم يكتشف ويؤكد لنا من جيل إلى جيل أمورا لم نكن نعرفها عن الطبيعة البشرية، خاصة الجانب الجنسي

والنفسي منها. هذه الطبيعة البشرية التي بضعفاتها، مع متغيرات كل عصر، تقتضي إدراكا أوسع وعلما أعمق، ومن ثم رأيا أشمل وتفهما رحيما بضعف البشر. الله يريد رحمة لا ذبيحة نفاق وتشدد.

٤+ التعليم (عبارة "تعليم الكنيسة"):

هو محاولة ضم العقيدة والرأي والتفسير، الثلاثة معا، في كوكتيل واحد، لتأكيد إطلاق صحة التفسير أو الرأي كأمر كنسي يتساوى كلية مع العقيدة الثابتة في أنها "مطلقة" غير قابلة للتغيير. هذا أمر غاية في الخطورة على مستقبل الكنيسة وتطور المتغيرات فيها. وهذا الكوكتيل الواحد يكون لإعطاء التفسير أو الرأي صفة الإطلاق، بما أن التفسير (و) أو الرأي قد أصبحا "واحدا في الكوكتيل" مع العقيدة المطلقة ذاتها!!! وهذا الأسلوب، كما هو واضح لنا في شخصيات سياسية، تاريخية ومعاصرة، ما هو إلا محاولة لتأكيد دكتاتورية بعض الأشخاص في تاريخ البشرية السياسي والكنسي أيضا، خاصة في القرون الوسطى في الغرب، و بلاد الحكم الفاشي.

واضح إذن أننا لا يمكننا أن نتقدم كمجتمع أو وطن أو كنيسة، أو حتى مؤسسة إدارية، إلا بعد أن نقرر ما هي الأمور "الفوق دستورية"، أي عقيدية مطلقة، وما هي الأمور القابلة للتغيير بحسب تغير الزمان والمكان والثقافة ودرجة المعرفة التي نصل إليها من جيل لجيل. أما الأصوليون والمتطرفون في المجتمع الواسع عموما والكنسي أيضا، فلا يقبلون بهذا الحديث لأنه يضعف من دكتاتوريتهم، وقدرهم وحريتهم المتاجِرة بالدين وآيات الكتاب المقدس، لتمرير تفسيراتهم التاريخية على أنها مساوية للعقيدة في الإطلاق، بما أننا أسميناها "تعليم الكنيسة". رجاء تمييز الفارق الجوهري بين العقيدة من ناحية، والتفسيرات والآراء والاجتهادات البشرية كلها من ناحية أخرى – أي فك وتحليل هذا الكوكتيل الخطير جدا على الكنيسة وهو أحد أسباب إلحاد أبنائنا.

من له أذنان للسمع ......؟

٥+ الطقس:

الطقس هو الترتيبات المادية الظاهرية التي تقرها جماعة بشرية، لممارسة تظهر وتعلن معتقداتهم الفكرية والدينية، حتى يمارسوا الحوار أو التعليم أو العبادة في وحدانية فكرية (روحية نفسية) مكانية وزمانية. الطقس الكنسي إذن هـــو ترتيـــب بشـــرى موضوع لتعليمنا وشركتنا معا في العبادة، ولا يجب أن نعتبر الطقس جزءا من التقليـــد الكنسي العقيدي، وإن كان يعبر عنه. الطقس يتغير قطعا بتغير المكان والزمان والثقافة و الحضارة.

ثانيا: تاريخ الأسرار الكنسية، خاصة سر الزيجة

أسرار الكنيسة لم تحسب وتعد أنها سبعة فقط إلا في القرن السادس عشر في الكنيسة الكاثوليكية، في مجمع ترنت في إيطاليا. و لم تحسب سبعة في الكنيسة القبطيـــة إلا بعد كتابة حبيب جرجس لكتاب أسرار الكنيسة السبع في القرن العشرين نقلا عن الكاثوليك! يمكنكم البحث على جوجل أو قراءة الآتي للتأكد:

https://en.wikipedia.org/wiki/Sacrament

https://www.christiancourier.com/articles/824-what-about-the-sacraments

https://legacy.fordham.edu/halsall/source/1438sacraments.asp

http://www.catholic.com/quickquestions/did-the-church-change-the-number-of-the-sacraments

https://oca.org/questions/sevensacraments/the-sacraments

مقدمة هامة عن تاريخ وتعريف معنى عبارة "الأسرار الكنسية" عبر التاريخ:

ألمح أبونا متى لأمر في غاية الأهمية بدون الدخول في التفاصيل و هو: أن الكنيسة في القرون الأولى لم تحاول تقنين أو تحديد عدد حسابي للأسرار، لأن كل ممارساتها كانت تعتبرها "أسرارا" مقدسة، أي لا يباح بها لغير المؤمنين، ومن خلالها يعمل الروح القدس فينا.

كتب أبونا متى المسكين في كتابه "التقليد و أهميته في الإيمان المسيحي"، أن مفهوم الكنيسة في القرون الأولى لمعنى كلمة "أسرار الكنيسة" يختلف كثيرا عن التعريف والفهم الحالي للتعبير ذاته، والذى صاغته الكنيسة الكاثوليكية أولا.

في الفصل الخامس عشر تحت "مدخل إلى التقليد السرائري" ص ١٧٣ – ١٧٦ كتب: [والآن نبدأ نهيئ ذهن القارئ للدخول في التقليد السرائري، أي فيما يخص ممارسة الأسرار المقدسة بحسب التقليد المسلم منذ البدء، لكى نعد الذهن لدراسة الأسرار مركزين على سرى الإفخارستيا والمعمودية. ... تُدعى هذه الأعمال الإلهية التي تجرى داخل الإنسان ولا يستطيع أن يلحظها أو يكشفها بالأسرار الإلهية أو السرائر المقدسة أو أسرار الكنيسة. والمسيحية بحد ذاتها هي كلها "سر الله أو سر المسيح". ... سر اللاهوت وسر التدبير الإلهي، وهما ما أعلنه الله عن نفسه وما صنعه بواسطة ابنه "ليعرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه" (أف ١). وهذان يشملان سر الثالوث الأقدس وسر التجسد والفداء. ... والأسرار الإلهية الموهوبة للكنيسة وهى التي فيها يمنح الله نعمته خاصة للمؤمنين بواسطة الكنيسة لنوال شركة معه في الحياة الأبدية. وهي تشمل الأسرار السبعة – التي حددتها الكنيسة مؤخرا – مع كافة الأعمال الأخرى التي يُمنح فيها الإنسان نعمة من لدن الله ...]

وفي الفصل الثالث من الكتاب ذاته كتب أبونا متى المسكين، مقتبسا ما قاله القديس كيرلس الأورشليمي أن المعمدين (المؤمنين) الجدد كانوا مطالبين بعدم إخبار أي إنسان غير مسيحي بأي من تعاليم الكنيسة وممارستها وعقائدها، لأن هذه هي "أسرار الكنيسة المقدسة" وإلا حُسب هذا المؤمن الحديث المعمودية خائنا! [إذا سألك موعوظ (أي لم يصر بعد مؤمنا): ماذا يقول لك المعلمون (في الكنيسة)؟ فلا تخبره ولا أحد من الخارج بشيء قط. لأننا نسلمك الآن سرا الذى هو رجاء الحياة الآتية. أحرس السر من أجل هيبة الله ... لأن الموعوظ إذا سمعه لا يفهمه و يحسبه عثرة ويتهكم عليه، والمؤمن إذا باح به يدان كخائن!] ص ٥٩.

كان طقس الانضمام للكنيسة يحوى أهم ما أسمته الكنيسة في كتابات الآباء في القرون الأولى "اسرار الكنيسة"، وهي كما نرى كانت: الاعتراف بالإيمان بترديد قانون الإيمان (و ليس أساسا الاعتراف بالخطايا) – ثم المعمودية و سر التثبيت (= موهبة الروح القدس) بوضع اليد أو بمسحة الميرون المقدس – ثم شركة الإفخارستيا. وكانت هذه كلها ممارسة واحدة لا تعدد رقميا.

تاريخ الزواج في الكنيسة في القرون الأولى:

كتب الأب جون مايندورف بحثه وقد تمت ترجمته ونشره بالعربية بعنوان "الزواج من منظور أرثوذكسي". والأب مايندورف يشرح لنا ما كتبه آخرون أمثال جون إريكسون الأرثوذكسي في بحثه "تحديات ماضينا (الكنسي)" والمنشور بواسطة ناشر المرجع الأول أيضا، وهو أكبر ناشر ومعهد لاهوتي في العالم الأرثوذكسي: منشورات القديس فلاديمير، بنيويورك. وخلاصة المذكور في هذه الأبحاث الأرثوذكسية وغيرها مما هو متوفر للقراءة على الإنترنت أيضا، والذى ذكره أيضا الكثيرون في السنوات الماضية في وسائل الإعلام، هو أن الزواج المسيحي في الإمبراطورية الرومانية في القرون الأولى وحتى القرن الثامن كان عقدا مدنيا فقط، كما كان الحال لكل رعايا الإمبراطورية. والكنيسة لم ترفض ذلك. وبعد توثيق عقدهما

المدني يذهب الزوجان ليأخذا بركة الصلاة الكنسية، لأن الكنيســـة "تعلــن وتبـــارك وتقدس" هذا السر الإلهي الذى باركه الله بنفسه في الفردوس لكل آدم و حواء. وهذا الطقس الكنسي أصبح عرفا جاريا في القرن العاشر بأمر الإمبراطور ليو السادس. ومن يومها أخذت الكنيسة مسؤولية الزواج بصورة أكبر مما سبق. وكانت أسباب التطليق في الإمبراطورية الرومانية (كما يذكرها إريكسون) تقريبا هي هي مـــا أخـــذت بـــه الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في القوانين المنسوبة لابن العسال منذ القرون الوســـطى. وهذه الأسباب هي المعمول بها في لائحة عام ١٩٣٨ الشهيرة. هذا تـــاريخ حقيقـــي يمكن للكل التأكد منه.

واليوم لا يمكننا أن ندفن رؤوسنا في الرمال ونترك الخطـــاة مـــن أبنائنـــا في المستقبل للدمار حتى بعد التوبة، لأننا قررنا أن نعيد تفسير أقوال الرب بصورة متشددة لم تعهدها الكنيسة الأرثوذكسية لعشرين قرناً. آباء الكنيسة قبلوا أن يطلّقوا أو يحلّوا أو يُبطلوا الزواج لأسباب الزنا، أو الأحوال والأسباب التي يتضح للكنيسة أنها في الغالب الأغلب سوف تقود إلى الزنا، إن تركت بدون طلاق و زواج ثان، على اعتبار أنهـــا تدخل وتقبل تحت بند "علة للزنا"، كما ذكرنا. فهل يصمت المتشددون، حتى تتحرك الكنيسة إلى الأمام؟!

نحن معك يا قداسة البابا.

د. هاني مينا ميخائيل

لمن يريد القراءة بالتفصيل أقدم الجزء الثاني من كتاب الله والإنسان والكون – سبعة مقالات

www.copticorthodox-divinejustice.com

Look for the BOOKS and download freely